﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢﴾ [الأنبياء: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اسْتِئْنافُ إنْكارِهِم لِتَحْطِيمِ أصنامِهم بعد إحضارِ الفاعل لإذلالِهِم

لَمّا كان معلومًا أنَّهم لا يتأخَّرونَ عن إحضار إبراهيمَ ﷺ؛ لأنَّ في إحضاره بمَرْأى من النّاس - مع ذكر ما فعله بآلهتهم - حُجَّةً لهم عليه كما يتوهَّمون؛ استأنَفَ أخبارَه لما يقعُ التَّشوُّفُ له فقالوا منكرين عليه مقرِّرين له بعد حضورِه على تلك الهيئة: أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا[1] ؟! فهو استئنافٌ بيانيٌّ على غرار ما قبله.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سؤالُ إبراهيمَ عن فِعْلِه لإدانتِه ومعاقبته

لَمَّا أتوا بإبراهيم ﷺ - على أعين الناس الذين أتوا من كل حدب وصوب - سأله الذين وُكِّل إليهم أمر محاكمته إن كان هو الَّذي كسَّر أصنامَهم أم لا؟ وذلك لإقامة الحُجَّةِ عليه في زعمهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصْل الجُملةِ في صدر الآية:

اسْتِفهامٌ مَبنيٌّ على اسْتِفهامٍ سابقٍ لإدانة إبراهيم

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ﴾ اسْتِئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من حكاية قولهم[3] عندما قالوا من قبل: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ فجاء الكلام هنا: ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا﴾ مُتَّسِقًا مع بحثهم عن الفاعل الَّذي قام بتكسير آلهتهم وإذلالها، أو أنَّ النَّفس المراقبة لحركة معنى القصة من شأنها أن تسأل عن قولهم لإبراهيم حين يأتون به على أعين الناس لعلهم يشهدون، فهو استئناف بياني.

بلاغةُ الإيجاز بالحذف:

القرآنُ يحذفُ ما لا يُحتاج إليه، فالبلاغة الإيجاز

وقع من قبل هذا السُّؤال ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ﴾ حذفُ جملةٍ تقتضيها

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 440.
(2) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 566.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 711.

دلالةُ الاقْتضاء، والتَّقدير: (فأتَوْا به فقالوا: أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا؟) طلبوا منه الاعترافَ بذلك ليُقدِموا على إيذائه، فظهر منه ما انْقلبَ الأمرُ عليهم حتَّى تَمَنَّوُا الخلاصَ منه، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1]، وقد طوَى التنزيلُ الحكيمُ معنى إتيانهم به للإيجاز؛ لأن المحذوف لا يتعلَّق به حُكم في السّياق، وللدّلالة على تمكُّنهم من الإتيان به وإحضاره وسرعة ذلك.

بلاغةُ الاستفهام في: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ﴾:

سـؤال تقريريٌّ وإنـكـاريٌّ مبنيّ على الإقصاء

في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾ نوعٌ خاصٌّ من أنواعِ الاستفهامِ المُشرَبِ بالبلاغة العالية حيث جمع بين نوعيْنِ من أنواع الاسْتفهام: الإنكاريّ التّوبيخيّ؛ لأنّه قد فعل، والتَّقريريّ[2]؛ لذلك أيضًا؛ وهو سؤال عما يعلمونه تجاهلاً منهم بقصد التوبيخ والتقرير، أيْ: قالوا مُنكِرين عليه مُقرِّرين: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾؟ ففي داخل إنكارهم تقريرٌ بفعله، كأنَّهم سألوا وأجابوا، وخاصموا وحكموا، وهو من باب تجاهل العارف[3].

بلاغةُ اسمِ الإشارة:

قد يكونُ تقبيح الفعل تقبيحًا للفاعل

قولُه: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الفعل الفاحش الحقيرِ الَّذي قام به إبراهيمُ عليه السلام حسب زَعْمِهم، وفيه تنبيهٌ على أنَّ إتيانهم به ومسارعتهم إلى إحضاره بمَرْأى من النّاس إنَّما كان بسبب هذا الفعلِ الشَّنيع الَّذي قام به، وهو أمرٌ مُحقَّقٌ غنيٌّ عن البيان لا مناصَ منه[4]، والقربُ في: ﴿هَٰذَا﴾ يرمزُ إلى ما ذُكِر من المعنى في نُورِ السياقِ، وإلى جرأة إبراهيم في فعله هذا؛ أيْ: إنَّ إبراهيم لم يَر هذا شيئًا بعيدًا مستحيلًا؛ بل رآه قريبًا ممكنًا، فأقدم عليه.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 155، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 100.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 440.
(3) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص: 51.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 440، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 712.

دلالةُ الباء في ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾:

من شأن الباطل أن يُـحـاط به لِحقارته وهَوانِه

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾ للإلصاق؛ أيْ: فعلتَ ما فعلتَه مُلصقًا بالآلهةِ في تكسيرها وتحطيمها، ويمكن أن يُرادَ بها الظَّرفيَّة؛ أيْ: فعلتَ هذا الفعل في آلهتنا؛ أيْ: في تكسيرِها وتفتيتِها، والباءُ حينئذٍ في موضع (في)، والأوْلَى حملُها على الإلصاق الدّالِّ على الإحاطة والتَّمكُّن من الشَّيْء؛ لأنَّ المقصود بيانُ تمكُّنِه ﷺ منها؛ ولذا تجرَّأ عليها؛ ففعل بها ما فعل.

فائدةُ الإضافة في قوله: ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾:

ليس أحقر مِن إلـهٍ يُـدافِـع عنه عابدوه

أضاف النّظمُ الكريم - في قوله تعالى: ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾ - الآلهة إلى ضمير المتكلِّمين؛ لإعلام إبراهيم أنه بفعلِه هذا قد آذنهم بالحرب غيرَ مبالٍ بهم وبحقهم في الاعتقاد، وبقوتهم أيضًا؛ ففيها مِن التهديد ما فيها، ويُستفاد مِن الإضافة أيضًا على سبيل الإشارة: الدلالة على أنَّهم هُمُ الَّذين كانوا يعبدونها من دون الله، وفي ذلك تلويحٌ إلى أنَّهم ما كانوا يعدُّون إبراهيمَ ﷺ من عَبَدَة الأصنام، وخاصَّةً أنَّ ذلك ورَدَ في سياق الإنكارِ عليه مع تقريرِ ما فعلَه من تكسير تلك الآلهة.

نكتةُ تأخيرِ النِّداء في الآية:

تـقـديـم الأهـمِّ على المهمِّ

أخَّر النَّظمُ القرآنيُّ النّداءَ في ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ إلى ذَيْل الآية، وحقُّه أن يُقدَّم، فيُقال: (أأنتَ يا إبراهيمُ فعلتَ هذا بآلهتنا؟) وتأخيرُ النّداء؛ لأنَّه ليس هو المُعوَّلُ عليه في السّياق؛ فهم يعلمون أنَّ إبراهيمَ ﷺ هو مَنْ فعلَ هذا؛ بل اهتمامُهم مُنصَبٌّ على القيام بهذا الفعل القَبيح في زعمهم، وهو تكسيرُ آلهتهم وإذلالُها، فهو تشنيعٌ لعبادتهم لها، وتحطيمٌ لكبريائهم، والأوْلى مِن ذلك سياقًا: أن يكونَ تأخيرُ النداءِ المشتملِ على ذِكْر إبراهيم إبلاغًا في تقريره بالفعل مع إنكاره عليه إنكارًا توبيخيًّا، وهذا مُؤسَّسٌ على عِلْمهم بأنَّ الفاعل (إبراهيم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»